تاريخ زين الدين فيه عجايب، وبدايع وغرايب وفنون
فاذا اتاه مناظر في جمعه، خبره عني انه مجنون
وكذلك الشيخ صفي الدين الحلي اورده في بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلي
لاجل المعارضة وباقي الكلام على بيتيهما في موضعه وقد كشفت هنا عن الابهام
قناع الاشكال، وابرزت بدوره المتحجبة في افق الكمال، فاني كتبت فيه تقريظا
لم ارض بقراضة الذهب ان تكون له رملا، ولا سبقني اليه اديب وولد فيه
على هذا الطريق شكلا، وما ذاك الا انه ورد الى الديار المصرية وانا منشي
دواوين الانشا الشريف المويدي خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعي
في شهر شوال سنة ثمان عشرة وثمان مايه، وصنف سيرة مشتمله على نظم ونثر
لمولانا السلطان الملك المويد زاد الله ملكه شرفا وتعظيما، ولم يكن للمشار اليه المام
بتعاطي الات الادب في مبادي عمره فسالني ان اكتب عليها تقريظا قبل تقديمها
فامتنعت من ذلك خلق فدخل علي بمن لا يمكنني ان اخالف له مرسوما فحسنت له
كتابة شيخنا العلامة القاضي بدر الدين ابن الدماميني فسح الله في اجله اولا فتوجه
اليه فالتزم بالايمان المغلظه انه لا يكتب له تقريظا الا ان كنت قد منعني الكتابة
من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذي ضلت البلغا خلفه فانه للمحاسن جامع،
واوضحت طريقه فضاع نشره الذي كان من عبير توريه ضايع، وهو
وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضيه، فوجدت مطرب لحنها
قد اعرب عن التنكيت لاهل النكت الادبيه، ولزمت معها سلوك الادب
لاحتشامها بالصفات المويديه، فانها ما قوبلت بادب الا تقوت بسلطانها
ولا جارتها سيرة مطوله الا كانت قاصرة عن الجري في ميدانها،
ولا تذكرت التواريخ المتقدمة معها الا تاخرت وكنت خلفها، ولا ناظرها ذو
قصص الا ثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها، ولا بالغ اهل
التقاريظ في تقاريظهم الا وكانت دونها، واستحقها هذا الوصف في ذمة
اهل الادب فاستوفت منهم ديونها، فلو نظر الصفدي الى هذا التاريخ
وراجع النظر في تاريخه لسلخ جلده، او تصفحه الكتبي لعدد على
تاريخه وما عنده، او كان ثم ابن كثير لراي نقصه متزايدا عنده، او
عاصره ابن خلكان لقال لم امازج شراب الفقاعي بخلي، فان عنده حمضة
وبرده

٥٢ وبرده، او لمحه الذهبي وموه بتاريخه لقيل له هذا ما ينطلي معه، وعلم
ان خلاصة الذهب تظهر بالتسبك فهضم من جانبه ووضعه، ولو ادركه
البديع لذم بديعه وعلم انه بدعه، او لحقه الوهراني لراه في المنام ان حصل
له بعد مطالعته هجعه، نسب هذا التاليف الى دوله مويديه فصار
له على اهل الادب صوله، فلو ناظره مولف بمجلد لقلنا له هذا جراب الدوله
تحمس في شعره وتغالى فاتفق لنا في سوق الكلام رخصه، فلو رابه ابو تمام
لتحقق عجزه واراه بنفسه نقصه نعم هذه الاشعار التي ما زاحمها شاعر
ببيوته الا نلت له الزلزلة في الواقعه وتقوم القيمه وهي الى الحشر
مرمية على القارعه ولقد قام اوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطي
بفضله، ونقص عنها الراجح الحلي لان فيها زيادة على مثله، فياله من شعر
قصر عن بحره الطويل كل معارض، وكيف لا وناظمه ذو همة عاليه وناهض
وابن ناهض وقد وقف ابن حجه وهو معترف ان عنده في نظمه وقفه،
وسكيتب المعز البدري على اعترافه فانه قاضي الادب واماه الذي صلت
البلغا خلفه، وفتحت لعلما الادب هذا الباب وارجو ان يكون فتحه مبينا
فانهم رضوني براعة يحسنوا الختام، واذا حصل العطش من هذا المنهل روينا
نعم وقفت وعبر خاف عن علومهم الكريمه ان شرط الواقف ما يهمل، واستثنه
مراسيم المصنف مع سلوك الادب الذي بذوقه من له فيه اعذب منهل، والله تعالى
يجمعنا على هذا الشرب ليحلو موارده بالموارده، ولا يحجبنا عن الكلام الذي
يحسن السكوت عليه وتتم به الفايده،
فكتب بعد ذلك سيدنا القاضي بدر الدين المشار اليه، وقفت وانا الا كاد
اثبت نظري لشدة الخجل، وسالت المهله في وصف هذه الالفاظ فاذا هي قد
جاءت على عجل، فقلت اما المقام الشريف الممدوح عز نصره ولا
زالت تفتخر بدولته القاهره مصره فملك مد على الرعيه جناح العدل وحمى
بيضة الاسلام، وتواردت على تجريح علاته وتعديل صفاته السنة السيوف
والاقلام، وسار على اقوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه، وطلع في سماء
المواكب كالبدر فقلما شبهت في الطلعة القمريه، ودعي الى نسك طاعته
قلبته في ذلك الموقف النفوس، ونادى عداته منادى الحين فاذا ناكيف يكون الترخيم